ـاهيم إسلامية

١٤

الحج

عبادة وتربية

مؤسسة البلاغ

الحج
عبادة وتربية

■ **الحج عبادة وتربية .**

تأليف ونشر: لجنة التأليف ـ مؤسسة البلاغ .

عدد النسخ : ١٠٠٠٠ نسخة .

المطبعة : معراج .

الطبعة : الثالثة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م .

الترجمة جائزة للجميع بعد عرضها على المؤسسة .

الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران . ص . ب ١٩٧٧ / ١٩٣٩٥

P. O. BOX: 1977/ 19395. ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

مفاهيم إسلامية

١٤

الحج
عبادة وتربية

مؤسسة البلاغ

بِسمِ ٱللّهِ ٱلرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

«إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدى لِلعالَمينَ * فِيهِ آيات بَيّنات مَقامُ إبراهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كان آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَن استَطاعَ إِليَهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فإِنَّ اللّـهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ» .

(آل عمران / ٩٦ ــ ٩٧)

«وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» .

(الحج / ٢٧)

(لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة) .

الامام جعفر الصادق (ع)

كلمـــة المؤسســـة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على عبده وحبيبه، سيدنا وشفيعنا محمد، وعلى قادتنا وأوليائنا أهل بيته الطاهرين، وأصحابه المجاهدين، ومن اتبع نهجهم الى يوم الدين.

أشرق نور الإسلام ليكون للناس سبيلاً الى سعادة الدارين: يهدي الضال، و يحمي الضعيف و ينتصر للمظلوم، و يشبع الجائع و يكسي العريان.. ولينظم الحقوق والواجبات، و يحرر الفرد والأسرة والأمة من الخوف والظلم والجهل والجوع، وليتساوى أمام منصة قضائه، وفي محراب عبادته، وفي توزيع حقوقه ومسؤولياته الأسود والأبيض، والحاكم والمحكوم، والمرأة والرجل.. ليضع الموازين القسط لتنظيم الحياة بكل ما فيها.. ولكل مايحتاج اليه الإنسان.. أي انسان، في مسيرته عبر الحياة، وهو يحمل رسالة الهداية والاصلاح ومشعل القوة والرحمة، ولواء الحرية والعدالة.. لتتفيأ البشرية ظلاله... الى اليوم الموعود.

ومن هنا نجد في الاسلام العظيم من الخصائص ما نجدها في ما عداه فقد نسق ووفق بين العقيدة والتشريع والاخلاق، واستجاب لمتطلبات الجسد، ولبى أشواق الروح وهواتف النفس، ووضع العقوبات الزاجرة الرادعة واهتم بالأخلاق الفاضلة لينشئ الأمة الوسط.. وجعل عليها من

رقابة السلطان العادل حسيباً .. ومن وحي الوجدان رقيباً ، ووعد بالثواب لمن آمن واهتدى ، وأنذر بالعقاب لمن ضل وغوى .

ومن أبرز خصائص الاسلام أنه رفع شأن الانسان وأعز منزلته فجعله خليفة الخالق وسيد المخلوقات .. يعمر الأرض والنفوس .. بالعمران والايمان ، وذلك حين شرفه بالفرائض ، وأمره بالتكاليف الشرعية وأوجب عليه الصلاة والصيام ، والحج والجهاد و ... الخ .

ففريضة الحج فيض هدى ورشاد ، وسيل فوائد ومنافع ، وسياج عزة ومنعة .. فرضها اللّه تعالى لتظل أمة خاتم الأنبياء تحمل لواء التوحيد وتجسد وحدة الانسانية وتحقق أسمى ما تصبو اليه البشرية ، وأعلى ما تسعى اليه من تطبيقات التحرر والمساواة والعدالة والأمن ، والرخاء والاخاء ، والاستقرار والازدهار .

ففي الحج أداء لحقوق اللّه وحقوق الناس ، وسياحة للبدن ومعراج للروح ، وتوحيد لشتات الأمة ونشر لكلمة التوحيد ، وفيه عوائد عاجلة في الدنيا وفوائد آجلة في الآخرة .

والمؤسسة اذ تقدم لقرائها الأعزاء هذه الرسالة في الحج لتدعو اللّه تعالى أن يمدنا بعونه لأداء هذه الفريضة على أتم وأكمل وجه ، لتجني أمتنا ثمارها ، وتحقق آثارها ، وأن يسدد خطانا على طريق أداء كل ما افترض اللّه علينا ، وتعظيم كل شعائر الاسلام « **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** » .

مؤسسة البلاغ

توطئة

معنى الحج

الحج في اللغة : هو القصد للزيارة ، وقد نقل القرآن الكريم كلمة الحج من معناها اللغوي العام الى معنى اصطلاحي خاص ، ليكون اسماً ، وعنواناً للعبادة الاسلامية المخصوصة في الاسلام .

والحج في الاسلام : هو عبارة عن مجموعة من الشعائر والمناسك يؤديها المسلم المكلف بادائها في الوقت والمكان الذي حدده الاسلام له و بالطريقة التي أداها رسول الله (ص) .

وسمي الحج بهذا الاسم لأن المسلم المؤدي لهذه العبادة يقصد مكة ، والبيت الحرام ، والأماكن المقدسة الأخرى . كعرفات ومنى ، والمزدلفة ، ليؤدي فيها مناسكه وشعائره ، وقد ربط الاسلام أداء هذه الفريضة بظرفي الزمان والمكان في صحة اداء الحج .

فالاحرام يبدأ من أماكن محددة ، والطواف ، يكون في مكان معلوم ، والسعي يكون بمكان محدد ، والوقوف يكون بمكان محدد .. وكذا رمي الجمار في مكان خاص .. والمبيت بعض الليالي يكون في مكان محدد ... الخ .

وكما كان للمكان أهميته وموقعه التشريعي في هذه العبادة، فان للبعد الزمني أيضاً أهميته وتأثيره كعنصر ضروري يساهم في صحة هذه العبادة و بطلانها .. لذا كانت أهم شعائر الحج ومناسكه مرتبطة بتوقيت زمني محدد .... فيوم الوقوف في عرفات هو اليوم التاسع، والمبيت في المزدلفة هو ليلة العيد و يوم النحر هو اليوم العاشر .. يوم العيد، والمبيت في منى ليلة الحادية عشرة والثانية عشرة من ذي الحجة .. الخ .

ولهذين العنصرين ــ عنصر الزمان والمكان ــ يعود السبب في تسمية هذه العبادة حجاً لأنها زيارة مقصودة لأماكنِ محددة، وفي أوقات محددة، ليؤدي القاصد فيها مناسكه، و يقيم شعائره من كل عام .

على خطى أبي الأنبياء
ابراهيم (ع)

واصل نبي الله ابراهيم (ع) رحلته الطويلة عبر أرض بابل والشام وجزيرة العرب .. وراح يطوي فصول الزمن، و يتخطى السهول، والهضاب، والوديان، ليحل في نهاية المطاف في أرض الميعاد في مكة المكرمة .. وهو يصطحب طلائع الحياة والايمان الى ربوع هذه الأرض .. زوجته هاجر، وابنه إسماعيل (ع) .

و يحل ابراهيم (ع) ومعه هاجر واسماعيل في أرض السلام .. في البلد الآمن .. في الوادي الجديب ، و يرمي ابراهيم ببصره .. عبر صحارى مكة وجبالها .. كأنه يبحث عن حدث جديد سيولد على هذه الأرض .. و يصمت قلب ابراهيم (ع) الكبير ليطوي سره وقدره .. و يرمق ابراهيم السماء بعينيه .. و يرفع بالضراعة والخشوع يديه :

«ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» .

(ابراهيم / ٣٧)

و يقفل ابراهيم(ع) راجعاً .. وتصمت هاجر .. و يتلفت اسماعيل من حوله .. و يسكن الى صمت الصحراء، و يطلب الماء فلا يجد .. و يشتد به العطش و يفحص الوليد رمال الوادي بقدميه الصغيرتين .. وعلى شفتيه ذبول العطش والجفاف، وفي قلبه رواء الحب والايمان وفي عينيه امتداد الأمل الكبير، وفي جنبيه رجاء المستقبل .. المستقبل الذي بات يبشر بانبثاق أمة ستزرع في قلب الوادي الجديب شجرة الايمان والحياة .. و يستمر الوليد يلاعب الأرض بقدميه، و يداعب وجه الرمال بأصابعه، يداعبها بصفاء الأنبياء، وحب القديسين .. وكأنه يغمز ثدي الأرض ــ أمُّ الإنسان الرؤوم ــ علّها تسكب بين شفتيه قطرة الماء والرواء .. و يرق قلبها العطوف حناناً على ابن مجدها العظيم .. وتستجيب لرغبته ما زال مستجيباً لنداء اللّه .. فتتفجر الأرض ــ حناناً من لدن بارئها ــ عينا تروي عطش الصحراء، وآيات تبشر بمجد الوليد العظيم، وتذهل هاجر، أفي يقظة هي أم في حلم جميل .. ؟؟ وتقترب نحو الماء، وتغرف منه بكفيها، و يشرب اسماعيل .. و يظل الوليد يصاحب (زمزم)، و يمرح جذلان على ضفافها في أرض الرسالات ليشيد في ربوعها مع أبيه كعبة تهفو اليها قلوب الموحدين، وقبلة تتوجه نحوها أنظار المسلمين، ومزار يحج اليه القاصدون ...

و يعود ابراهيم(ع) يعود ليلتقي باسماعيل، وليبدأ فصولاً جديدة من تاريخ الايمان على أرض المقدسات وليبدأ مع ابنه، يبني بيتاً للعبادة. و يستمر ابراهيم في البناء، و يرفع القواعد من البيت، و يتعالى صرح

البناء، و يشمخ رمز التوحيد في قلب الجزيرة الجرداء .. كعبة تهفو اليها النفوس، ومآباً تطوف حوله القلوب :

« واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهّـر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذّن في الناس بالحج يأتـوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق ».

(الحج / ٢٦ ــ ٢٧)

و يكمل ابراهيم (ع) وآبنه البناء :

« وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم * ربنا وآجعلنا مسلمين ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنكأنت التواب الرحيم ».

(البقرة / ١٢٧ ــ ١٢٨)

.. و يضعان في رحاب مكة أول بيت وضع للناس، وضع للحج والعبادة، فكان قدساً مطهراً، إصطفاه ربه، فأضافه اليه، فقال مخاطباً ابراهيم (ع) :

« ... وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود » .

(الحج / ٢٦)

فصار البيت، بيت اللّـه .. رمز الايمان، وموضع العبادة والتقديس، ومحل القصد والحج، و بيت الضيافة، والوفادة على اللّـه .. فالذي يحل في فنائه كأنما يحل في رحاب اللّـه، وحاجّـه قاصد، يطوف حول ظل في أرض اللّه ..

وراح ابراهيم (ع) يرعى البيت، و يعمره بالعبادة والتقديس، و يرمقه بالاجلال والتعظيم، وهو يلمح مجد هذا الرمز الرفيع، و ينتظر أن يكون له شأن عظيم، شأن لهذا البيت الصخري المتواضع .. متواضع في فنه وعمارته، بسيط في أناقته وفخامته .. هذا البيت الطافي على بحر الرمال، بين أمواج الجبال، ومتراكم الكثبان، يحوطه المحال والجدب من كل مكان، فلا الماء يجري ولا الأرض تعشب، ولا الر بيع يطل، ولا قوافل الركبان تقصده.. يحتو يه الوادي الجديب، و يحيطه امتداد من القفر والبيد، فما كان أحد يحسب لتلك البقاع الخالية من مظاهر الرغد والحضارة أي حساب .. ولكن:

«وربك يخلق ما يشاء و يختار».

(القصص / ٦٨)

واذا بالمجد يظلل أرض الحصى والرمال .. واذا بوديان مكة الجرداء تشمخ بأنفها على وديان الخصب والر بيع والرواء .. ولم لا ... ؟؟

أليست هي الأرض التي أختارها الله لتكون منطلقاً لرسالة ابراهيم ؟ .. داعية الايمان والسائح في الأرض هياماً برسالة التوحيد، وفراراً من ظلم الطواغيت الى عدل الله ومن خرافة الوثنية الى مدرسة العقل السديد «الدين».

أليست هي الأرض التي آمنت بأهداف أبي الأنبياء بعد أن استكبرت عليه وديان الخصب والعمران في أرض بابل والشام.

أليست هي الأرض التي ستخصب النفوس بالايمان، وتملأ الأرض

بالحضارة والعمران، اختارها الله لابراهيم (ع) ليضع الحجر الأساس في قلبها : كعبة للايمان، و بيتاً للعبادة، ومتوجهاً للقلوب .

أليست هي الأرض التي شاء الله أن تكون حرماً آمناً، وداراً للسلام ؟ .

انها كذلك..

وهكذا شاء الله أن تكون، وأن يخصب هذا الوادي الجديب بأغراس الايمان، و يزدحم هذا الرحاب القفر بقلوب الوالهين، و يزدحم هذا المكان المنقطع بمناكب الطائفين، و يضج وادي الصمت بنداء الملبين .. أراد الله كل ذلك فأوحى الى أبي الأنبياء ابراهيم (ع) :

«وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» (الحج / ٢٧)

و ينطلق ابراهيم (ع) بالنداء، وتستجيب القلوب المؤمنة، وتتسابق قوافل الحجاج سعياً وتلبية، جيلاً بعد جيل ... وصوت ابراهيم (ع) ما زال يتردد في مسامع الأبناء ترفعه على أكتافها أمواج الأثير، نداء خالداً، وصوتاً حبيباً، تصغي اليه النفوس بشوق وسكينة، وتهفو اليه القلوب بحب وحرارة .. انه نداء أبينا ابراهيم (ع) ما زال يتردد في قلوب الموحدين، وما زالوا يجيبونه بكل شوق واجلال، متوجهين الى الله سبحانه :

(لبيك اللهم لبيك ..
لبيك لا شريك لك لبيك ..
ان الحمد والنعمة لك والملك ..
لا شريك لك) ..

وهكذا صار الحج فريضة من يوم أطلق النداء أبو الأنبياء ابراهيم (ع) .. وجاء محمد (ص) بالاسلام، فكان الحج أحد أركان دعوته ، وكانت الكعبة قبلته ووجهته ، فتوجه القرآن الى المسلمين ببلاغه الواضح، وندائه الصريح:

« .. ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » . (آل عمران / ٩٧)

وجاء في الرواية عن أهل البيت (ع) : (أن الكعبة شكت الى الله عز وجل في الفترة بين عيسى ومحمد (ص) فقالت : يا رب مالي قلَّ زواري : مالي قلَّ عوادي؟ فأوحى الله اليها أني منزل نوراً جديداً على قوم يحنون اليك كما تحن الأنعام الى أولادها)[١] يعني أمة محمد (ص)، هذه الأمة التي قدست الحج ، وعمرت البيت بالتقديس والعبادة، فكان مفهومها عن الحج ما عبر عنه الامام علي (ع) بقوله : **(وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون اليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته، وآختار من خلقه سُمّاعاً أجابو إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه)**[٢] .

---

١ ــ الحر العاملي، وسائل الشيعة ج ٥ ، كتاب الحج، ص ١٤ ــ ط / ٤، ١٣٩٦هـ .

٢ ــ الامام علي، نهج البلاغة، ص ٤٥ ــ تنظيم صبحي الصالح ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٨٧هـ .

رحلة السلام
الى البلد الآمن

« واذ قال ابراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمناً وآجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام ».

(ابراهيم / ٣٥)

.. و يشاء الله سبحانه أن يجعل للناس حرماً آمنا ، وأرضاً للسلام ، يملأ ذكرها النفوس بالأمن والطمأنينة ، وتشيع مناسكها في ربوع الدنيا السلام واحترام الحياة ، ليربِّي الانسان على احترام الأمن وحب السلام ، فتتوارى نوازع الشر والعدوان فيه .. تلك النوازع التي طالما دعته للولوغ في الدماء والتمادي في سفكها بشكل دعا الملائكة أن تتساءل قبل خلقه واستخلافه : كيف يصلح لاعمار الأرض ، ورعاية الحياة ، من يفسد في الأرض ، و يسفك الدماء ؟

«... قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، و يسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ...».

(البقرة / ٣٠)

أليست نزعته الاجرامية هذه كافية لأن تحرمه من حق الوجود والعيش في رحاب الأرض ؟؟

أليس الذي يسبح بحمد اللّه، و يقدس لعظمته هو الجدير باعمار الأرض، والحنو على الحياة واحترام ارادة اللّه وحكمته في خلقه .. واذا فمن أجل أن تمحى من الأرض هذه الجريمة .. وتنسى من دنيا الانسان هذه الخطيئة .. راح الاسلام يربي في نفس الحاج الدعوة الى الأمن والسلام .. و يزرع في نفسه مفهوم الدين عن قدسية الحياة .. ليعلمه أن الحياة لا يستحقها من لا يحترم الحياة .. وأن المسبحين بحمد اللّه .. العارفين به، هم الجديرون باعمار الأرض وانعاش الحياة .. لأنهم هم الذين يحترمون ارادة الحياة كما جرت حكمة اللّه وعدله فيها ...

لــذا فان الحاج يجد في شعائر الحج ومناسكه تربية عبادية على احترام الحياة، يمارسها الانسان و يستشعرها في ربوع البلد الآمن .. مكة المكرمة .. بلد الأمن والسلام .. فجعل البيت الحرام، والبلد الحرام (مكة) مثابة للناس، وأمنا تفزع اليه النفوس الخائفة، وتطمئن بجواره القلوب التي اعتراها الخوف فأفقدها لذة الحياة ..

ولا ينحصر استشعار الأمن في ربوع هذا البيت في التخلص من

مخاوف الحياة وحدها . بل وهو ايضا امان للناس من الذنوب ، وموضع للتوبة والرجوع الى الله سبحانه ، والدخول في أمنه من العقاب والسخط ، لذا كرر القرآن آياته مؤكداً قدسية هذا الحرم وأمنه ، فراح يسوق الآيات ، و يكرر عبارات (الأمن، والحرام) ليوحي للانسان، و يشعره بقيمة هذه الحقيقة في الحياة... حقيقة الأمن والسلام، ليحرر الانسان من الخوف .. عقدته الكبرى ، ومحنته التي تطارده في كل العصور :

«فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» .

(قريش/٣ـ٤)

«واذ قال ابراهيم رب آجعل هذا البلد آمنا ...» .

(البقرة / ١٢٦)

«واذ قال ابراهيم رب آجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» .

(ابراهيم / ٣٥)

«فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ...» .

(آل عمران / ٩٧)

«واذ جلعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ...» .

(البقرة / ١٢٥)

« والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين ».

(التين / ١ ــ ٣)

« انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ».

(النمل / ٩١)

« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام ... ».

(المائدة / ٩٧)

« ... وحُرِّم عليكم صيدُ البر ما دمتم حرماً ... ».

(المائدة / ٩٦)

« يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ... ».

(المائدة / ٢)

وليست هذه النصوص وحدها هي التي تتحدث عن الأمن والسلام وحرمة الحياة واحترامها ، بل هذا بعض من القرآن تحدث عن حرمة البيت الحرام .. (الكعبة) .. والبلد الحرام (مكة)، .. والشهر الحرام (شهر الحج)، وأكد الامتناع عن سفك دماء الحيوانات البرية واصطيادها .. وقطع النباتات والأشجار التي نمت تحت ظلال بيت الله ، وفي حرمه الأقدس .. وقتل الحشرات والهوام ما دام الحجيج محرمين .. ليغرس في نفس الانسان احترام الأمن ، وحب السلام ، و ينتشله من العبث والجريمة وسفك الدماء .

وهكذا كان الحج رحلة السلام الى بلد الأمن والسلام .. رحلة يستشعر فيها الحاج قيمة الأمن في نفسه .. وفي مجتمعه .. ومع بارئه الذي جعل له هذه البقاع المقدسة بقاعاً آمنة، تطمئن فيها نفسه، وتأمن غضب خالقها برجاء عفوه، واستشعار رحمته والدخول في حمايته، فيعود الحاج وهو مهيأ للتوبة .. مستعد للصلاح.

وما أجمل تشخيص الامام جعفر الصادق (ع) لهذه الحقيقة وهو يخاطب الحاج بقوله: «**وادخل في أمان الله، وكنفه وستره، وكلاءته من متابعة مرادك بدخول الحرم، ودخول البيت متحققاً لتعظيم صاحبه، ومعرفة جلاله وسلطانه**»(٣).

---

٣ ـ الشيخ محمد حسن النائيني ـ روائع مختارة من الحج (ص ٣٣) نقلاً عن البحار ـ باب الحج ص ٣٨.

الحج عبادة

الحج رحلة الروح والبدن، وهجرة الانسان الى اللّه، ووفادته عليه.

وهو هجر للأهل، والمال، والملذات، واحتمال للمتاعب والمشاق، والعناء.. حباً للّه وشوقاً اليه، واستجابة لندائه:

«وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق».

(الحج / ٢٧)

والحج عبادة تشترك في أدائها عناصر متعددة.. يشترك فيها الجسم والمال، وتساهم فيها النفس والمشاعر، لذا كان الحج عبادة مالية بدنية، يتعبد بها الانسان عن طريق بذل المال، والجهد، واحتمال المشاق والمتاعب، قربة الى اللّه سبحانه، واظهاراً للعبودية الخالصة له، وتأكيداً للتحرر من كل قوة عداه سبحانه.

وهدف الحج هذا هو هدف كل عبادة في الاسلام.. الخلوص الى اللّه سبحانه، وقطع النظر عما سواه في هذا الوجود، واتخاذ المعبود غاية في

نشاط الانسان وتوجهه، ليمتلئ وجدان المتعبد بالحقيقة الكبرى فيغدو طهراً متجرداً من كل شر ورذيلة.

وللغاية هذه شرع الحج، واعتبره القرآن حق الله على العباد؛ فقال تعالى:

«ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا».

(آل عمران/٩٧)

والحج ركن أساس من أركان الدين، ودعامة رئيسة من دعائم الايمان، وقد تواترت الأحاديث والنصوص المصرحة بأهمية الحج ومكانته عن رسول الله (ص) وأهل بيته (ع).

فقد ورد عن رسول الله (ص): **(انما فرضت الصلاة، وأمر بالحج والطواف، وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله).**

وقال (ص): **(أبدلنا بالرهبانية الجهاد، والتكبير على كل شرف ـ يعني الحج، وابدلنا بالسياحة* الصوم)**[٤]

وقال (ص): **(الحاج والعمار، وفد الله يعطيهم ما سألوا، ويستجيب دعاءهم، ويخلف نفقاتهم).**

---

* السياحة: قال الراغب الأصفهاني في معجم مفردات ألفاظ القرآن:

قال بعضهم الصوم ضربان: حقيقي وهو ترك المطعم والمنكح، وصوم حكمي، وهو حفظ الجوارح عن المعاصي كالسمع والبصر، واللسان؛ فالسائح هو الذي يصوم هذا الصوم.

٤ ــ النراقي ــ جامع السعادات ــ ج ٣ ــ ص ٣٨٢.

وقال الامام جعفر الصادق (ع):

(لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة)[٥] .

وعنه عليه السلام كذلك:

(اذا قدر الرجل على ما يحج به ، ثم دفع ذلك ، وليس له شغل يعذر؛ فقد ترك شريعة من شرائع الاسلام).[٦]

ولشدة حرص الاسلام على هذه العبادة، واهتمامه بها أعطى الدولة الاسلامية صلاحية قانونية تمنحها الحق في اخراج عدد من المسلمين الى الحج ، ولو عن طريق القوة اذا هم تركوا الحج جميعاً ــ لا سمح الله ــ لئلا تعطل شعائر الاسلام ؛ فان كانوا عاجزين عن أداء مصروفات الحج تعهدت الدولة بالصرف عليهم من مالها الخاص لاحياء هذه الفريضة، واقامة هذه العبادة الجماعية.

فقد ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) قوله : **(لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك ، وعلى المقام عنده. ولو تركوا زيارة النبي (ص) لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك ، وعلى المقام عنده، فان لم يكن لهم أموال انفق عليهم من بيت مال المسلمين)**.[٧]

---

٥ ــ الحر العاملي ــ وسائل الشيعة ج ٥ ــ كتاب الحج ــ ص ١٤ ــ ط ٤ .

٦ ــ المرجع السابق ص ١٧ .

٧ ــ المرجع السابق ص ١٦ .

وروي عن الامام جعفر الصـــادق (ع) : **(لو كان لأحد كم مثل أبي قبيس ذهباً ينفقه في سبيل اللّه، ما عدل الحج، ولدرهم ينفقه الحاج يعدل الفي درهم في سبيل اللّه).**

وقال (ع) : **(الحج جهاد كل ضعيف).**

وقال (ع) : **(من مات ولم يحج حجة الاسلام، ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق معه الحج، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً، أو نصرانياً).**

القيم والمعاني
في مناسك الحج

الحج عبارة عن مجموعة من المناسك والشعائر، وجملة من الأفعال والأقوال .. تنتظم جميعها في أطر زمنية، ومكانية محددة، لتجسد بمجموعها معنى تعبدياً، وعملاً تربوياً يساهم في بناء شخصية المسلم، و يعمل على اعادة تنظيمها، وتصحيح مسيرتها في الحياة، و يسدد وجهتها ومسارها الى الله .

فعبادة الحج بصيغتها العامة من الأقوال والأفعال التعبدية التي يمارسها الحاج توحي للنفس بمعاني كثيرة فتشعرها بجلال الموقف، وروعة الخشوع والعبودية لله سبحانه، وتزرع فيها مكارم الأخلاق، وتقودها الى استقامة السلوك وحسن المعاشرة. ففي كل فعل، ونداء، ومناجاة في مناسك الحج ؛ رمز يوحي الى النفس بمعنى، واداء يعبر عن سر وغرض تستوحيه النفس في تعاملها معه .

فالاحرام، والتلبية، والطواف، والسعي، والوقوف بعرفات ... الخ، كلها أفعال ذات مغزى، ومشاعر ذات معنى عميق يجب أن يحسها الحاج، و يتمثل معانيها .

لذا كانت قيمة الحج التعبدية، وآثاره التكاملية على النفس والسلوك لا تتحقق بالممارسة الميكانيكية الميتة، والخالية من استلهام المعاني والقيم الكامنة خلف الممارسات الشكلية، بل يحقق الحج أهدافه بوعي الحاج، وتفاعله نفسياً وفكرياً مع كل فعل يقوم به، أو نداء يطلقه، أو مناجاة يرددها، والا فالحاج سائح يتجول في عالم المشاهد والآثار، لم يحقق من أهداف الحج شيئاً، ولم تنطبع على صفحة نفسه منه عبرة.

وكم كان عميقاً وعي أولئك الأتقياء لمداليل الحج وأهدافه.

وكم كان رائعاً تصويرهم له، وتعبيرهم عنه، لأنهم عاشوه حقيقة متفاعلة مع أنفسهم وأرواحهم، ولغة رمزية تنطق بها أحاسيسهم، ومشاعرهم.

ولنأخذ نموذجاً واعياً لهذا الفهم الفوري العميق لمضامين الحج، ومستوحياته، فنقرأ تفسير الامام علي بن الحسين السجاد (ع) حيث كشف عن المضامين الرمزية، والمعاني المستوحاة من كل أداء تعبدي في فريضة الحج.. تلك الفريضة التي يستشعر القارئ من تفسير الامام لمناسكها أنها وضعت لتستوعب أهداف الاسلام ومعانيه، بطريقة حسية رمزية؛ يمارسها الحاج ضمن أكبر تجمع بشري في رحاب العبادة والوقوف بين يدي الله سبحانه.

فقد روي عن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) أنه لما رجع من الحج استقبله أحد الحجاج (الشبلي)، فقال له الامام (ع): حججت يا شبلي ؟. قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال (ع):

أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت ؟؟ .. قال : نعم . قال : فحين نزلت الميقات نو يت أنك خلعت ثياب المعصية ، ولبست ثوب الطاعة ؟ قال : لا ، قال : فحين تجردت عن مخيط ثيابك نو يت أنك تجردت عن الرياء والنفاق والدخول في الشبهات ؟. قال : لا .. قال : فحين ٱغتسلت نو يت أنك ٱغتسلت من الخطايا والذنوب ؟ قال : لا .. قال : فما نزلت الميقات ، ولا تجردت عن مخيط الثياب ، ولا ٱغتسلت .

ثم قال (ع) : حين تنظفت ، وأحرمت وعقدت الحج نو يت أنك تنظفت بنور التو بة الخالصة للّه تعالى ؟ قال : لا ..

قال:فحين أحرمت نو يت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه اللّه عز وجل ؟ قال : لا ..

قال:فحين عقدت الحج نو يت أنك قد حللت كل عقد لغير الله ؟ قال : لا .

قال له عليه السلام : ما تنظفت ، ولا أحرمت ، ولا عقدت الحج .

ثم قال (ع) له : أدخلت الميقات وصليت ركعتي الاحرام ولبّيت ؟؟ قال: نعم . قال :فحين دخلت الميقات نو يت أنك بنية الزيارة ؟ قال : لا .

قال : فحين صليت الركعتين نو يت أنك تقربت الى اللّه بخير الأعمال من الصلاة ، وأكبر حسنات العباد ؟ .

قال : لا .

قال له (ع) : ما دخلت الميقات ولا لبّيت ؛ ثم قال له : أدخلت الحرم ، ورأيت الكعبة وصليت ؟

قال : نعم .

قال : فحين دخلت الحرم نو يت أنك حرمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الاسلام ؟ قال : لا .

قال : فحين وصلت مكة نو يت بقلبك أنك قصدت الله ؟ قال : لا .

قال (ع): فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت . .

ثم قال (ع) : طفت بالبيت ، ومسست الأركان وسعيت ؟ قال : نعم .

قال (ع) : فحين سعيت نو يت أنك هر بت الى الله ، وعرف ذلك منك علام الغيوب ؟ قال : لا .

قال : فما طفت بالبيت ، ولا مسست الأركان ، ولا سعيت .

ثم قال (ع) له : صافحت الحجر، ووقفت بمقام ابراهيم(ع)، وصليت به ركعتين ؟ قال : نعم ؛ فصاح (ع) صيحة كاد يفارق الدنيا بها ثم قال (ع) آه آه . وقال : من صافح الحجر الأسود فقد صافح الله تعالى ، فانظر يا مسكين ولا تضيع أجر ما عظم حرمته، وتنقض المصافحة بالمخالفة وقبض الحرام، نظير أهل الآثام. ثم قال (ع) : نو يت حين وقفت عند مقام ابراهيم أنك وقفت على كل طاعة ، وتخلفت عن كل معصية ؟ قال : لا .

قال (ع) : فحين صليت ركعتين نو يت أنك بصلاة ابراهيم(ع)، وأرغمت بصوتك أنف الشيطان ؟ قال : لا .

قال (ع) : فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صليت فيه الركعتين .

ثم قال (ع) له : أأشرفت على بئر زمزم، وشر بت من مائها ؟ قال :

نعم. قال (ع): نويت أنك أشرفت على الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية ؟ قال: لا.

قال (ع): فما أشرفت عليها، ولا شربت من مائها.

قال (ع): أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وترددت بينهما ؟ قال: نعم.

قال (ع): نويت أنك بين الرجاء والخوف ؟ قال: لا. قال (ع): فما سعيت، ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة.

ثم قال (ع): خرجت الى منى ؟؟

قال: نعم.

قال (ع): نويت أنك أمنت الناس من لسانك وقلبك و يدك ؟

قال: لا.

قال (ع): فما خرجت الى منى.

ثم قال (ع) له: أوقفت الوقفة بعرفة ؟.. وطلعت جبل الرحمة وعرفت وادي نمرة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات ؟... قال: نعم. قال (ع): هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه، أمر المعارف والعلوم، وعرفت قبض الله على صحيفتك، واطلاعه على سريرتك وقلبك ؟... قال: لا قال (ع): نويت بطلوعك جبل الرحمة أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة، و يتولى كل مسلم ومسلمة ؟ قال: لا.

قال (ع): فنويت عند النمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجر؟ قال: لا.

قال (ع) : فعندما وقفت عند العلم نو يت أنها شاهدة لك على الطاعات ، حافظة لك مع الحفظة بأمر رب السموات ؟ . قال : لا .

قال (ع) : فما وقفت بعرفة ، ولا طلعت جبل الرحمة ، ولا عرفت نمرة ، ولا دعوت ، ولا وقفت عند النمرات .

ثم قال (ع) : مررت بين العلمين ، وصليت قبل مرورك ركعتين ، ومشيت بمزدلفة ، ولقطت فيها الحصى ، ومررت بالمشعر الحرام ؟ قال : نعم . قال (ع) : فحين صليت ركعتين نو يت أنها صلاة شكر في ليلة عشر تنفي كل عسر ، وتيسر كل يسر ؟ قال : لا .

قال (ع) : فعندما مشيت بين العلمين ، ولم تعدل عنهما يميناً وشمالاً ، نو يت أن لا تعدل عن دين الحق يميناً وشمالاً ، لا بقلبك ، ولا بلسانك ، ولا بجوارحك ؟ قال : لا .

قال (ع) : فعندما مشيت بمزدلفة ، ولقطت منها الحصى نو يت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل ، وثبت كل علم وعمل ؟ قال : لا .

قال (ع) : فعندما مررت بالمشعر الحرام نو يت أنك أشعرت قلبك اشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل ؟ قال : لا .

قال (ع) : فما مررت بالعلمين ، ولا صليت ركعتين ، ولا مشيت بالمزدلفة ، ولا رفعت منها الحصى ، ولا مررت بالمشعر الحرام .

ثم قال (ع) : وصلت منى ورميت الجمرة ، وحلقت رأسك ، وذبحت هديك وصليت في مسجد الخيف ، و رجعت الى مكة ، وطفت طواف الإفاضة ؟ قال : نعم .

قال (ع) : فنويت عندما وصلت منى ، ورميت الجمار أنك بلغت الى مطلبك، وقد قضى ربك لك كل حاجتك ؟ قال : لا .

قال (ع) : فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك إبليس، وعصيته بتمام حجك النفيس ؟ قال : لا .

قال (ع) : فعندما حلقت رأسك نويت أنك تطهرت من الأدناس ، ومن تبعة بني آدم ، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك ؟ قال : لا .

قال (ع) : أفعندما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف الا الله عز وجل وذنبك ، ولا ترجو الا رحمة الله تعالى ؟ قال : لا .

قال (ع) : فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت بحقيقة الورع ، وأنك اتبعت سنة ابراهيم (ع) بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحانة قلبه وحاجة سنته لمن بعده، وقربه الى الله تعالى لمن خلفه ؟ قال : لا .

قال (ع) : فعندما رجعت الى مكة ، وطفت طواف الافاضة ، نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ، ورجعت الى طاعته ، وتمسكت بوده ، وأديت فرائضه ، وتقربت الى الله تعالى ؟

قال : لا .

قال له زين العابدين (ع) : فما وصلت منى ، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك ، ولا ذبحت ، ولا أديت نسكك ، ولا صليت في مسجد الخيف ، ولا طفت طواف الافاضة ، ولا تقربت ، أرجع فانك لم تحج فطفق (الشبلي) يبكي على ما فرط في حجه ، وما زال يتعلم حتى حج من قابل

بمعرفة و يقين)[٨] .

وهكذا كان الائمة من أهل البيت (ع) يؤدون مناسكهم وعباداتهم، وهكذا كانوا يربون المسلمين على فهم عباداتهم، والتفقه في دينهم، ليكونوا واعين لما يؤدون، ومدركين لما يفعلون.

وهكذا يجب أن تمارس عبادة الحج بأفعالها التي فرضها الله سبحانه، فيدرك هدف كل فعل فيها، ومغزى كل شعار ومنسك .

---

٨ ـ نقلاً عن الشيخ محمد حسن النائيني ـ روائع مختارة من الحج ص ٤٠ .

ملاحظة : أن نفي الامام (ع) للمناسك التي أداها (الشبلي) يعني انتفاء آثارها التربوية والنفسية لا بمعنى ابقاء ذمته مشغولة بالحج على غرار (لا صلاة لمن جاره المسجد) .

التلبية
هتاف الروح الخالد

ومنذ أن أطلق القرآن نداء الحج ، انطلق الحجيج يلبي ، و يستجيب للنداء ... و يردد هتاف الحب ، والاخلاص ، والوفاء للّه سبحانه : (لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .

وهكذا كان نداء محمد (ص) الذي علمه أمته .. نداء تطلقه القلوب المستجيبة لنداء اللّه .. لتعلن عن ولائها ، وصدق توجهها ، متحدية المتاعب والمشاق ، حباً للّه ، وشوقاً الى ارتياد أرض المقدسات ، ومواطن التعبير عن الاخلاص للّه .

فالملبي يردد ضمن جمع الحجيج ـــ لبيك اللهم لبيك ـــ استجبت اللهم لندائك وأمرك .. وحضرت بين يدي رحمتك ، حباً لك ، واخلاصاً ، فأنت الواحد الذي ملكمني نفسي ، ومشاعري ، وحياتي .. فلا شيء غيرك يمكن أن يحول بيني ، و بين الوصول اليك .. انك شرفتني ، وأحببتني ، ودعوتني للحضور بساحة رحمتك .. وكيف لا أستجيب لك ؟! .

أليس الخلق والملك لك ... ؟! .

ألست صاحب النعم الذي يستحق الشكر والحمد ... ؟!.

ألست المدين لك .. الذي يلهج بحمدك والثناء عليك والتعظيم لك ... ؟!

ها أنا قد حضرت بين يديك.. وقد تركت كل ما خولتني ورائي .. من الأهل، والمال، والجاه، والمتع واللذات،.. سعياً لرضاك ، ووفوداً عليك ، وشوقاً اليك .. فتقبلني اللهم بأحسن قبولك ، وأجب دعائي ، وأكرم وفادتي عليك ، وأجر فراري من الذنب اليك .

أهداف ومنافع

«وأذِّن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم اللّه في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير».

(الحج / ٢٧ ــ ٢٨)

الحج، ذلك المؤتمر الاسلامي الكبير، والتظاهرة الايمانية الرائعة التي تشترك فيها صنوف متعددة من الأجناس، والفئات والطبقات، والقوميات على موعد واحد، وفي أرض واحدة، يرددون هتافاً واحداً، و يمارسون شعاراً واحداً، و يتجهون لغاية واحدة، وهي الاعلان عن العبودية والولاء للّه وحده، والتحرر من كل آثار الشرك والجاهلية، بطريقة جماعية حركية، تؤثر في النفس، وتشبع المشاعر والأحاسيس بمستوحيات الايمان، ومداليل التوحيد.

والحج كما صرح القرآن الكريم، والاحاديث الشريفة الى جانب كونه عبادة وتقرباً الى اللّه سبحانه، فان فيه منافع اجتماعية، وفوائد

ثقافية، واقتصادية، وسياسية، وتربوية، تساهم في بناء المجتمع الاسلامي، وتزيد في وعيه وتوجيهه، وتساهم في حل مشاكله، وتنشيط مسيرته.

ففي الحج يشهد المسلمون: أروع مظاهر المساواة، والتواضع، والأخوة الانسانية، بالغاء الفوارق، والأزياء، وخلع أسباب الظهور الاجتماعي... والظهور باللباس العبادي الموحد (لباس الاحرام)، حيث يحس الجميع بوحدة النوع الانساني... و بالأخوة والمساواة.

وفي الحج يستشعر المسلمون وحدة الأرض، ووحدة البشر، و يمثلون عملية اسقاط الحدود التي صنعتها الأنانيات والأطماع البشرية: الاقليمية، والقومية، والعنصرية..

فهم يقطعون آلاف الاميال، و يخترقون كل حواجز الحدود، و يجتازون كل الموانع التي صنعها الانسان على أرض الله سبحانه. استجابة لنداء العقيدة، وتلبية لهتاف الايمان.

وفي الحج يلتقي المسلمون بمؤتمرهم الكبير، فيتذاكرون في شؤونهم، و يتشاورون في أمور حياتهم وعقيدتهم، و يتبادلون الخبرات والتجارب والآراء والعادات الحسنة، و يتعرف بعضهم على مشاكل البعض، و يطلع بعضهم على رأي البعض، و يتعرف بعضهم على أخبار البعض الآخر، فيزداد الوعي، وتنمو المعرفة، وتشحذ الهمم من أجل الاصلاح والتغيير والاهتمام بشؤون الأمة والعقيدة؛ فتخطط المشاريع، و يفكر في الأعمال، وتؤسس المراكز الفكرية والسياسية والاجتماعية

والاقتصادية، و يستعين بعضهم بالبعض الآخر، وكأنهم جسد واحد، وروح واحدة.

والحج بما هو تجمع بشري ضخم، يستقطب الملايين من المسلين؛ من مختلف الأقطار والأمصار، فهوينتج حركة بشرية هائلة، يتبعها تحرك إقتصادي ومالي ضخم؛ عن طريق النقل، والاستهلاك ، وحمل البضائع، وتبادل النقود، وشراء الأضاحي والحاجيات ومستلزمات الحج والاقامة والسفر؛ فينتفع العديد من المسلمين، و يشهد مجتمعهم حركة اقتصادية ومالية نشطة.

وفي الحج اعداد وتر بية لسلوك الفرد ونوازعه؛ ففي الحج يتعود الحاج الصبر، وتحمل المشاق، وحسن الخلق... من اللطف، والتواضع، واللين، وحسن المحادثة، والكرم، والتعاطف، والامتناع عن الكذب، والغيبة، والخصومة، والتكبرّ... الخ.

وفيه يتعود الألفة، والتعارف عن طريق السفر والاختلاط؛ وتنمو لديه الروح الاجتماعية، وتتهذب ملكاته الأخلاقية، عن طريق هذه الممارسة التربوية، والتفاعل البشري الرائع، الذي يشهده في الحج، بأرقى درجات الالتزام، والاستقامة السلوكية.

وقد تحدث الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) عن منافع الحج، وفوائده، باجابته البليغة على سؤال أحد أصحابه (هشام بن الحكم).

قال هذا الرجل الجليل للامام يسأله: ما العلة التي من أجلها كلف الله العباد بالحج والطواف بالبيت؟.

فقال (ع) : (ان اللّه خلق الخلق ... ــ الى أن قال ــ وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب؛ ليتعارفوا ولينزع كل قوم من التجارات من بلد الى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال؛ ولتعرف آثار رسول اللّه (ص)، وتعرف أخباره، و يذكر ولا ينسى ... الخ)[٩].

و يتطابق مع هذا التعليل والتحليل شرح حفيده الامام علي بن موسى الرضا (ع) لمنافع الحج، وآثاره الاجتماعية التي يجنيها الفرد والمجتمع حين قال :

(انما امروا بالحج لعلة الوفادة الى اللّه عزوجل، وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف العبد، تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل؛ مع ما فيه من اخراج الأموال، وتعب الأبدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحر والبرد، ثابتاً على ذلك دائما مع الخضوع والاستكانة والتذلل مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر، ممن يحج وممن لم يحج، من بين تاجر، وجالب، وبائع، ومشتر، وكاسب، ومسكين، ومكار، وفقير، وقضاء حوائج

٩ ــ الحر العاملي ــ وسائل الشيعة ــ ج ٥ ــ كتاب الحج ــ ص ٩ ــ ط ٤ ــ ١٣٩١هـ .

أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه من التفقه ، ونقل أخبار الائمة الى كل صقع وناحية ، كما قال الله عزوجل « .. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »[10] وليشهدوا منافع لهم)[11] .

وهكذا شاء اللّه أن يكون الحج محراباً للعبادة .. وموسماً للتربية والتوجيه .. ومجالاً للمنفعة وتحقيق المصالح الاجتماعية للانسان .

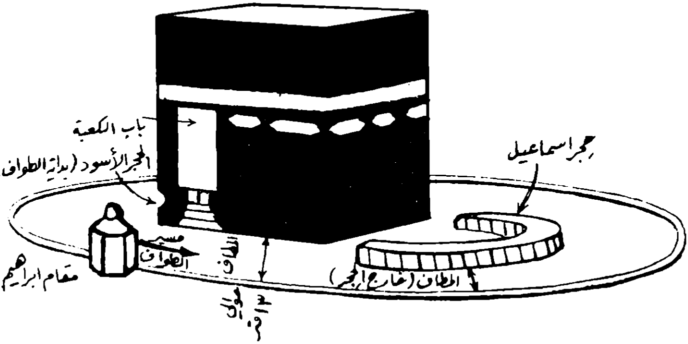
---

١٠ ــ التوبة / ١٢٢ .

١١ ــ الحر العاملي ــ وسائل الشيعة ــ ج ٥ ــ كتاب الحج ــ ص ٧ ــ ط ٤ .

أحكام الحج

إن ما يرد من أحكام في هذا الكتاب هو الصورة المختصرة لأحكام الحج لذا يجب الرجوع الى الكتب الفقهية الموسعة أو الى المرشد الديني فيما يحتاج اليه الحاج من مسائل وفتاوى .



مخطط يبين مسير الطواف حول الكعبة

شروط وجوب الحج

اشترط الاسلام لوجوب الحج على المسلم شروطاً ، لا يجب الحج الا بعد توفرها ، وهذه الشروط هي :

١ ـ الاستطاعة المالية والبدنية والأمنية ، فالحج لا يجب الا على المسلم المالك للمال والنفقة الكافية له ولعياله مدة الحج ، وعلى أن لا يكون في ضائقة اقتصادية عند عودته الى بلده ، والقادر على تحمل مشاق السفر وأداء مناسك الحج . كما يشترط في الوجوب توفر الأمن والطمأنينة على النفس والمال والعرض و يلحق بالاستطاعة كذلك توفر الوقت اللازم للوصول الى مكة المكرمة والقيام بالأعمال الواجبة .

٢ ـ البلوغ ، فلا يجب الحج الا على البالغ .

٣ ـ العقل .

٤ ـ الحرية .

وقت الوجوب :

١ ـــ يتحدد وقت وجوب الحج في (شهر شوال، وذي القعدة، وذي الحجة) فاذا توفرت شروط الوجوب في المسلم في هذه الفترة الزمنية وجب عليه اداء الحج، فان تركه في أول عام استطاع فيه الأداء، وجبت عليه المبادرة في الأعوام المقبلة.

٢ ـــ يجوز للمكلف أن ينوي الحج في أي يوم من أيام هذه المدة اذا أراد الدخول فيها الى مكة المكرمة ابتداء من المواقيت التي يمر بها حين الدخول.

حجة الاسلام

يقسم الحج الى ثلاثة اقسام هي:

١ ـــ حج الافراد .
٢ ـــ حج القران .
٣ ـــ حج التمتع .

والفرق بين حج الافراد والقران من جهة، و بينهما و بين حج التمتع من جهة أخرى، هو أن حج الأفراد والقران يجبان على أهل مكة، أو من لا يزيد بعد أهله عنها على ستة عشر فرسخاً (ثمانية وار بعين ميلاً شرعياً) أي نحو (٨٦) كيلومتراً و يجب في حج الافراد والقران تقديم الحج على العمرة.

أما حج التمتع فهو واجب على من يبعد أهله عن مكة ما يزيد على (٨٦) كيلومتراً، و يجب في هذا الحج تقديم العمرة على الحج .

وسمي هذا الحج بحج التمتع لأن الحاج يتمتع بفترة تحلل، بين العمرة والحج يباح له فيها ما يحرم على المحرم. و يتكون هذا الحج من عبادتين واجبتين هما :

١ ــ عمرة التمتع .

٢ ــ حج التمتع .

عمرة التمتع

يجب تقديم هذه العمرة على حج التمتع، أي يجب على الحاج أن يؤدي أعمال العمرة قبل حلول موعد الحج، وتتكون عمرة التمتع من خمسة أجزاء هي :

أولاً ــ الاحرام .

ثانيا ــ الطواف .

ثالثا ــ صلاة ركعتي الطواف عند مقام ابراهيم (ع) .

رابعا ــ السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط .

خامسا ــ التقصير .

شرح وبيان هذه الأجزاء :

أولاً ــ الاحرام : و يبدأ من أحد المواقيت المحددة (بحسب طريق الحاج الى مكة)، وهي :

مسجد الشجرة، الجحفة، وادي العقيق، يلملم، قرن المنازل، و يتكون الاحرام من ثلاثة أعمال هي :

أ) **النية** : وصيغتها : (احرم لعمرة التمتع من حجة الاسلام قربة الى الله تعالى). ولا يعتبر فيها التلفظ بالنيّة بل ولا الإخطار بالبال فيكفي وجود الداعي للعمل قربة الى الله .

ب) **التلبية** : وصورتها :

(لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .

ملاحظة : يجب في هذه العمرة قطع التلبية عند مشاهدة بيوت مكة ، والاحوط قطعها عند مشاهدة موضع بيوت مكة القديمة .

ج) **لبس ثوبي الاحرام** ــ الازار والرداء ــ و يعتبر في الازار أن يكون ساتراً من السرة الى الركبة ، و يعتبر في الرداء أن يكون ساتراً للمنكبين .

يشترط في ثوبي الاحرام أن يكونا طاهرين ، وأن يكون كل منهما سميكاً ، بمعنى الا يكون شفافاً يحكي ما تحته . واذا تنجس أحد الثوبين أو كلاهما بعد نية الاحرام يجب المبادرة الى تطهيره أو تبديله كما و يجوز استعمال الابرة وأمثالها كالجلاب لربط أحد طرفي الرداء

ـ القطعة التي على المنكبين ـ نعم لا يجوز ذلك في الازار (الوزرة).

ملاحظة : الاحوط اللبس قبل النية والتلبية ، فلو قدم النية والتلبية على اللبس أعادهما بعد اللبس.

احرام الحاج بالطائرة :

ان الوافد من الحجاج بالطائرة الى جدة، لا يصح له الاحرام من جدة نفسها ، لانها ليست من المواقيت ، فعليه بعد الوصول الى جدة أن يقصد أحد المواقيت كالجحفة (وراء رابغ) ، أو قرن المنازل ـ في الطائف ـ أو مسجد الشجرة في المدينة ثم يحرم منها .

وهناك حالات اخرى لها احكامها الخاصة بها :

أ) أن ينذر الاحرام من بلده وذلك بأن يقول : (للّه عليّ أن أحرم من هنا) ثم يحرم وجوباً ، أو يحرم وهو في الطائرة بأن ينذر بنفس التعبير المتقدم ، أو يقول : (للّه عليّ إن أبقاني اللّه تعالى الى مدة ربع ساعة أن أحرم من الطائرة) فإذا مرّ عليه ربع ساعة وجب عليه الاحرام بشرط ان ينشئ الاحرام قبل المرور على الميقات لا بعده.

ب) اذا لم يحرم بالنذر حتى وصل جدة، ولم يتمكن من الذهاب الى أحد المواقيت لزمه الاحرام من جدة بالنذر، بأن يقول : (للّه عليّ ان بقيت سالماً الى مدة نصف ساعة ، أن أحرم من جدة) فاذا مضت نصف ساعة وجب عليه الاحرام ثم يجدد احرامه خارج الحرم قبل دخوله فيه ، والمسمى (بأدنى الحل) كالحديبية أو الجعرانة أو التنعيم وهي حدود الحرم .

ما يحرم على المحرم فعله

اذا أحرم الحاج حرمت عليه أمور كثيرة ، وهي :

١) صيد الحيوان البري والاعانة على صيده وذبحه وأكله ، الا السباع وما يخاف منها .

٢) الاستمتاع بالنساء حتى التقبيل واللمس والنظر بشهوة وكذلك الاستمناء .

٣) عقد النكاح له أو لغيره أو الشهادة على العقد .

٤) الطيب والاكتحال والتدهين والنظر في المرآة للزينة ولبس الخاتم للزينـــة ، كما يحرم لبس المرأة الحلي للزينـــة (و يجوز لها أن تلبس ما اعتادت على لبسه ، على أن لا تظهر هذه الزينة حتى لمحارمها) . ولا يجوز لبس ما فيه رائحة الطيب بانواعه ولا أكل ما فيه الطيب ، ولو اضطرّ إلى لبس ما فيه الطيب أو أكله أو شربه يجب امساك أنفه ولا يجوز امساك الانف عن الرائحة الكريهة ، ولكن يجوز الفرار منها والتنحي عنها .

٥) لبس المخيط (للرجال) الاّ الهميان المخيط الذي فيه النقود ولبس الخف الذي يستر ظاهر القدم أو الجورب ، بل يحرم لبس كل ما يستر ظهر القدم .

٦) الجدال ومعناه القسم بالله على تأييد النقاش كأن يقول : (والله ، بلى والله . . .) .

٧) قتل هوام البدن ، كالبرغوث وأمثاله .

٨) ازالة الشعر .

٩) اخراج الدم من البدن ، وقلع الضرس ، وتقليم الاظافر .

١٠) التظليل للرجال اختياراً حين السير، أو تغطية الرأس ، وكذلك تغطية المرأة **وجهها** .

١١) قلع شجر الحرم أو قطعه بل وأي نبات في الحرم الا ما استثنى للمحرم وغيره .

١٢) لبس السلاح .

ملاحظة :اذا خالف المحرم ، وفعل شيئاً من هذه المحرمات ــ عدا بعضها ــ وجبت عليه الكفارة وتختلف نوعية الكفارة في كثير من هذه المجالات ، لذلك يجب مراجعة كتب الفقه الموسعة ، أو الرجوع الى المرشد الديني لمعرفة الحكم الخاص بكل حالة من هذه الحالات .

ثانيا : الطواف :

وهو الواجب الثاني من واجبات العمرة ، و يقصد به الطواف حول الكعبة المشرفة ابتداء من الحجر الاسود وانتهاء به .

شروط الطواف : يشترط في صحة الطواف ما يلي :

١) النية ، وهي أن يقول الطائف : (أطوف حول البيت سبعة أشواط لعمرة التمتع لحج الاسلام قربة الى الله تعالى) مع مراعاة ان يكون جانبه الايسر محاذياً لبداية الحجر الاسود حين عقد النية .

٢) الطهارة من الحدث الاصغر والاكبر ــ أي يجب تحقيق الطهارة عن طريق الوضوء أو الغسل ــ .

٣) طهارة الثوب والبدن من النجاسات .

٤) الختان للرجال .

٥) ستر العورة حال الطواف .

ملاحظة : لو أحرمت المرأة|ولم تتمكن من الطواف لحيض أو نفاس و يفوتها الوقوف بعرفات لو انتظرت طهرها أو تخاف الفوت تعدل الى حج الافراد وتأتي بالعمرة المفردة بعدها و يصح حجها و يجزي عن حجة الاسلام .

واجبات الطواف

تجب في الطواف أمور هي :

١) الابتداء من الحجر الاسود .

٢) الانتهاء في كل شوط بالحجر الاسود .

٣) جعل الكعبة على يسار الطائف ـــ في جميع احوال الطواف ـــ .

٤) ادخال حجر اسماعيل في المطاف ـــ أي ـــ يطوف خارج حجر اسماعيل من دون أن يدخل فيه .

٥) خروج الطائف عن الكعبة وعن الصفة التي في أطرافها المسماة بشاذروان .

٦) أن يطوف بالبيت سبعة أشواط (سبع مرات) متواليات .

٧) يجب أن يكون الطواف بين الكعبة ومقام ابراهيم (ع) . و يقدر هذا الفاصل بستة وعشرين ذراعاً ونصف .

ملاحظة :

١) يبطل الطواف بالزيادة على السبع ، اذا جعل الزائد جزءاً من طوافه الواجب وعليه أن يتسأنف الطواف مرة ثانية .

٢) اذا شك في عدد الاشواط ، حكم ببطلان طوافه ، وكذلك اذا شك في الزيادة والنقصان معاً ، كما اذا شك في أن شوطه الاخير هو السادس أو الثامن .

هذا اذا كان الشك في أثناء الطواف ، وأما الشك بعد الخروج من المطاف فلا قيمة له .

٣) اذا خرج الطائف عن المطاف فدخل الكعبة بطل طوافه ، و وجبت عليه الاعادة .

ثالثا : صلاة الطواف :

وهي الواجب الثالث من واجبات عمرة التمتع :

وهي ركعتان كصلاة الصبح تصلى بعد الطواف مباشرة ـــ خلف مقام ابراهيم (ع) ـــ ونيتها : (أصلي ركعتين ، صلاة الطواف لعمرة التمتع من حجة الاسلام قربة الى الله تعالى) .

رابعا : السعي :

والسعي هو الواجب الرابع من واجبات عمرة التمتع و يأتي بعد صلاة الطواف .. و يبدأ السعي من الصفا ثم ينتهي بالمروة ، و يعد هذا السعي شوطاً واحداً .. ثم يبدأ من المروة الى الصفا فيكون شوطاً ثانياً ، ثم يبدأ من المروة و ينتهي بالصفا فيكون شوطاً ثالثاً .

وهكذا يسعى بين الصفا والمروة حتى يكمل سبعة اشواط منتهياً الى المروة.

ملاحظة :

١ ـ يشترط في السعي النية لعمرة التمتع قربة الى اللّه تعالى، وصيغتها: (أسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط لعمرة التمتع لحج الاسلام قربة الى اللّه تعالى).

٢ ـ اذا شك في عدد الاشواط من السعي ـ قبل الانتهاء ـ بطل سعيه، وعليه أن يعيده، أما اذا شك في عدد الاشواط بعد الانتهاء من التقصير فلا يعتني بشكه، وسعيه صحيح، وكذا لو شك في الزيادة بعد الفراغ من السعي.

٣ ـ لا يمنع المرأة عن الاتيان بالسعي حيض ولا نفاس، حيث لا يشترط فيه الطهارة ولم تكن الصفا والمروة من المسجد الحرام.

٤ ـ يجوز الجلوس على الصفا والمروة أو فيما بينهما للاستراحة، كما و يجوز السعي راكباً ـ في عربة ـ أو يحمله آخر وحتى لو كان صحيحاً يستطيع المشي، مراعياً الشروط المذكورة، من الابتداء بالصفا والختام بالمروة.

خامساً: التقصير:

وهو الواجب الخامس من واجبات عمرة التمتع، و يأتي بعد السعي .. وهو أن يأخذ المعتمر من ظفر يده أو رجله، أو يقص شيئاً من شعر رأسه، أو لحيته، أو شاربه.

فاذا أراد التقصير نوى : (اقصر للاحلال من عمرة التمتع من حجة الاسلام قربة الى اللّه تعالى).

ملاحظة : يحرم حلق الرأس بدل التقصير.

ايضاح : اذا قصر المعتمر أصبحت محرمات الاحرام مباحة له، عدا الصيد وقلع شجر الحرم ونباته.

حج التمتع

والواجب الثاني من واجبات حجة الاسلام هوحج التمتع.

وتتكون أعمال الحج من ثلاثة عشر جزءاً هي :

أولاً : الاحرام :

وأفضل أوقاته يوم التروية : (وهويوم الثامن من ذي الحجة)، و يجوز التقديم عليه بثلاثة ايام، و يبدأ هذا الاحرام من مكة المكرمة، والافضل من المسجد الحرام.

فينوي الحاج الاتيان بما يجب عليه من أعمال الحج قربة الى اللّه تعالى، فيقول : (احرم لحج التمتع قربة الى اللّه تعالى)، ثم يشرع بالتلبية بعد أن يكون قد ارتدى ثوبي الاحرام.

ثانياً : الوقوف بعرفات :

ومعناه الحضور بعرفات يوم التاسع من ذي الحجة من زوال الشمس (أول الظهر) الى الغروب الشرعي.

ملاحظة: يحرم الخروج من عرفات قبل الغروب عالماً عامداً .

ثالثاً : الوقوف في المزدلفة :

فاذا خرج الحاج من عرفات بعد الغروب ليلة العيد توجه الى (المزدلفة) وهي اسم لمكان يقال له (المشعر الحرام)، فيبيت فيها ونيته : (أبيت هذه الليلة بالمشعر الحرام لحج التمتع قربة الى اللّه تعالى)، و يجب الوقوف في المزدلفة من طلوع فجر يوم العيد الى طلوع الشمس قاصداً التقرب الى اللّه تعالى ونيته : (أقف بالمشعر الحرام من طلوع الفجر الى طلوع الشمس قربة الى اللّه تعالى).

رابعاً : واجبات الحاج في منى :

اذا خرج الحاج من المزدلفة وجب عليه الذهاب الى (منى) لأداء الاعمال الواجبة وهي :

١ ــ رمي جمرة العقبة بسبع حصيات في اليوم العاشر، و يعتبر في أداء هذا الواجب أمور هي :

أ) نية القربة : وهي (أرمي جمرة العقبة قربة الى اللّه تعالى).

ب) ان يكون الرمي بسبع حصيات .

ج) ان يحصل رمي الحصيات الواحدة بعد الاخرى، فلا يجزئ رمي الحصيات جميعاً مرة واحدة أو اثنتين أو ثلاث منها مرة واحدة.

د) ان تصل الحصيات الى الجمرة بفعل الرمي .

هـ) ان يكون الرمي بين طلوع الشمس وغروبها .

تنبيه : يجوز للنساء والشيوخ والمرضى والضعفاء الذين يخافون على انفسهم من شدة الزحام الرمي ليلة العيد.

٢ ــ الذبح في منى : و يجب الاتيان به بعد الرمي نهار يوم العيد، و يجب أن يكون الهدي من الابل أو البقر أو الغنم، وان يكون صحيحاً تام الاعضاء.. ولابد فيه من نية القربة، وصورتها : (اذبح هذا الهدي لحج التمتع قربة الى اللّه تعالى).

٣ ــ الحلق والتقصير : والحلق افضل. و يذهب بعض الفقهاء الىٰ تعين الحلق دون التقصير على الشخص الذي يحج لأول مرّة (الصرورة) فيما يرىٰ البعض الآخر انه مخير بين الحلق والتقصير.

أما النساء فلا يجوز لهن الحلق بل يجب عليهن التقصير.

ملاحظة : اذا حلق المحرم أو قصر حل له جميع ما حرم عليه بالاحرام ما عدا النساء والطيب، اما الطيب فيحل للحاج بعد طواف الحج وركعتيه والسعي.. وأما النساء فتحل له بعد طواف النساء وركعتيه.

خامساً : أعمال مكة :

اذا أنهى الحاج أعماله يوم العاشر في منى عاد الى مكة ليؤدي الواجبات التالية :

أ) طواف الحج : وهو يشبه طواف العمرة أي يطوف سبعة أشواط حول الكعبة و ينوي : (أطوف طواف الزيارة لحج التمتع قربة الى اللّه تعالى).

ب) صلاة ركعتي الطواف خلف مقام ابراهيم ونيته : (أصلي ركعتي طواف الزيارة لحج التمتع قربة الى الله تعالى).

ج) السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، بنية الحج، (أسعى بين الصفا والمروة لحج التمتع قربة الى الله تعالى).

سادساً: طواف النساء:

وهو سبعة أشواط حول الكعبة، فاذا اراد الطواف نوى **قائلاً**:(أطوف طواف النساء قربة الى اللّه تعالى).

سابعاً: صلاة طواف النساء:

وهي ركعتان خلف مقام ابراهيم(ع)، فاذا أراد الصلاة نوى قائلاً: (أصلي ركعتي طواف النساء قربة الى اللّه تعالى).

ملاحظة: طواف النساء وركعتاه واجبان، وليسا ركناً فلو تركهما عمداً لم يبطل الحج ولكن يحرم للتّارك لهما النساء في الرجال، والرجال في النساء.

ثامناً: المبيت في منى:

بعد أن ينهي الحاج أعمال مكة يوم العيد، يجب عليه الرجوع الى منى ليبيت فيها ليلة الحادي عشر والثاني عشر فاذا نوى المبيت قال: (أبيت هذه الليلة بمنى لحج الاسلام قربة الى اللّه تعالى).

و يجوز للحاج الافاضة من منى بعد ظهر اليوم الثاني عشر، ولكن اذا بقي في منى الى الليل وجب عليه أن يبيت ليلة الثالث عشر أيضاً.

تاسعاً: رمي الجمار:

ورمي الجمار هوآخر واجب من واجبات الحج، وهو:

رمي الجمرات الثلاث، الاولى، والوسطى، وجمرة العقبة.

و يجب الرمي في اليوم الحادي والثاني عشر، واذا بات ليلة الثالث عشر وجب عليه الرمي في اليوم الثالث عشر أيضاً .

ملاحظة : ١ ــ يجب الابتداء برمي الجمرة الاولى ثم الوسطى ثم العقبة .

٢ ــ ان يكون الرمي بسبع حصيات، مراعياً نفس الشروط في رمي العقبة يوم النحر.

أحكام المرأة في الحج والعمرة :

١ ــ يحرم على المرأة حال الاحرام، ان تستر وجهها (وهو ما يجب غسله في الوضوء)، كله أو بعضه ببرقع أو نقاب أو عصبة تضعها على جبهتها بحيث يكون الساتر ملاصقاً للوجه، نعم يجوز لها ان تسدل الغطاء على وجهها حال النوم.

٢ ــ يجوز لها أن تحرم بثيابها الاعتيادية و بحذائها المعتاد حيث لا يجب عليها أن تكشف ظهر قدمها .

٣ ــ المرأة تمشي كالمعتاد بين الصفا والمروة، ولا يستحب لها الهرولة .

٤ ــ المرأة تقصر شعرها للاحلال من الاحرام ولا تحلق .

٥ ــ اذا حاضت المرأة، وهي محرمة لعمرة التمتع، فان عليها اذا وصلت مكة، وكان الوقت واسعاً، ان تنتظر حتى تطهر، فاذا تطهرت وحتى لو كان في اليوم التاسع من ذي الحجة، بحيث يمكنها القيام

بعمرتها ثم الاحرام للحج ، وجب عليها ذلك فتطوف طواف العمرة وتصلي ركعتي الطواف ، وتسعى وتقصر، ثم تحرم للحج وتخرج الى عرفات .

٦ ــ اذا كانت حائضاً ولم يسعها الوقت لأداء العمرة ثم الاحرام للحج اذا طهرت و يفوتها الوقت لو انتظرت طهرها أو تخاف الفوت تعدل الى حج الافراد وتأتي بالعمرة بعده و يصح حجها و يجزي عن حجة الاسلام .

٧ ــ الحيض والنفاس لا يمنعانها من أداء بعض المناسك كالاحرام من المواقيت ، والوقوف في عرفات والمزدلفة وأعمال منى والسعي بين الصفا والمروة بل يمنعانها من دخول المسجد الحرام ، للطواف وغيره .

٨ ــ اذا انقطع الحيض ، أو النفاس ولم تتمكن من الغسل لمرض أو عدم توفر الماء أو غيرهما ، يجب عليها أن تتيمم وتأتي بطوافها الواجب .

٩ ــ اذا حاضت المرأة قبل أن تؤدي طواف الحج ولم تستطع البقاء في مكة حتى تطهر، وتؤدي أعمالها ، لان (الجماعة) لا ينتظرونها ، فعليها في مثل هذه الحالة ان تستنيب من يطوف عنها ، ثم تسعى بنفسها بعد طواف النائب .

الحج نيابة عن الغير:

١ ــ من استطاع ولم يحج حتى مات وكان له تركة وجب على ورثته أن يستنيبوا من يحج عنه من أصل التركة ، وقبل قسمتها على الورثة ، لأن الحج بمثابة الدّين .

٢ ــ من كان عاجزاً عن أداء الحج لمرض أو شيخوخة وكان مستطيعاً

مادياً، يجب عليه ان يستنيب غيره لأداء هذه الفريضة .

٣ ــ يشترط في النائب البلوغ والعقل، والايمان، وأن لا يكون مكلفاً بحج لم يؤده بعد .

٤ ــ تصح نيابة المرأة عن الرجل والرجل عن المرأة .

مستحبات الحج :

١ ــ طواف الوداع : يستحب للحاج اذا أراد الخروج من مكة أن يودع البيت الحرام وأن يطوف حوله سبعة أشواط طواف الوداع، وأن يستلم الحجر الاسود، و يحمد الله و يثني عليه، و يصلي على محمد وآله .

٢ ــ زيارة المدينة المنورة : فمن أهم المستحبات للحاج الذهاب الى المدينة المنورة قبل الحج أو بعد الفراغ منه، لزيارة قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله .

و يستحب كذلك زيارة أهل بيت الرسول (ع) في البقيع .

من دعاء الامام علي بن الحسين (ع) يوم عرفات

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين اللهم لك الحمد بديع السموات والأرض، ذا الجلال والاكرام، رب الأرباب وإله كل مألوه وخالق كل مخلوق ووارث كل شيء، ليس كمثله شيء، ولا يغرب عنه علم شيء وهو بكل شيء محيط، وهو على كل شيء رقيب. أنت اللّه لا اله إلا أنت، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد، وأنت اللّه لا إله الا أنت، الكريم المتكرم، العظيم المتعظم، الكبير المتكبر، وأنت اللّه لا إله الا أنت، العلي المتعال، الشديد المحال. وأنت اللّه لا إله إلا أنت، الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، وأنت اللّه لا إله الا أنت، السميع البصير، القديم الخبير، وأنت اللّه لا إله إلا أنت، الكريم الأكرم، الدائم الأدوم. وأنت اللّه لا إله الا أنت، الأول قبل كل أحد، والآخر بعد كل عدد، وأنت اللّه لا إله إلا أنت الداني في علوه، والعالي في دنوه. وأنت اللّه لا إله إلا أنت، ذو البهاء

والـمـجـد، والـكـبرياء والحمد، وأنت الله لا إله إلا أنت، الذي أنـشـأت الأشياء من غير سنخ، وصورت ما صورت من غير مثال، وابـتـدعـت المبتدعات بلا احتذاء. أنت الذي قدرت كل شيء تـقـديـراً، و يسرت كل شيء تيسيراً، ودبرت ما دونك تدبيراً، و أنـت الذي لم يُعنك على خلقك شريك ، ولم يوازرك في أمرك وزير، ولم يكن لك مشابه ولا نظير.

أنت الذي أردت فكان حتماً ما أردت، وقضيت فكان عدلاً مـا قـضـيـت، وحـكـمـت فـكـان نـصـفاً ما حكمت. أنت الذي لا يـحـو يـك مـكـان، ولم يقم لسلطانك سلطان، ولم يعيك برهان ولا بـيـان، أنـت الـذي أحـصـيـت كل شيء عدداً وجعلت لكل شيء أمداً، وقدرت كل شيء تقديراً، أنت الذي قصرت الأوهام عـن ذاتيتك ، وعجزت الأفهام عن كيفيتك ، ولم تدرك الأبصار مـوضـع أيـنـيـتـك . أنت الذي لا تحد فتكون محدوداً، ولم تمثل فـتـكـون مـوجـوداً، ولم تلد فتكون مولوداً. أنت الذي لا ضد معك فـيـعـاندك ، ولا عدل لك فيكاثرك ، ولا ند لك فيعارضك ، أنت الـذي إبـتـدأ، واخترع وإستحدث، وابتدع،وأحسن صنع ما صنع. سبحانك ! ما أجل شأنك ،وأسنى في الأماكن مكانك ، وأصدع بـالـحق فـرقـانـك ! سـبـحـانك من لطيف ما ألطفك ، ورؤوف

ما أرأفك ، وحكيم ما اعرفك ،

سبحانك من مليك ما أمنعك ، وجواد ما أوسعك ورفيع ما أرفعك ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد.سبحانك بسطت بالخيرات يدك ، وعرفت الهداية من عندك ، فمن التمسك لدين أو دنيا وجدك . سبحانك خضع لك من جرى في علمك ، وخشع لعظمتك ما دون عرشك وانقاد للتسليم لك كل خلقك ، سبحانك لا تُحس ولا تجس ولا تمس ولا تكاد ولا تماط ولا تنازع ولا تجارى ولا تمارى ولا تخادع ولا تماكر، سبحانك سبيلك جدد، وأمرك رشد، وأنت حي صمد، سبحانك قولك حكم، وقضاؤك حتم، وإرادتك عزم، سبحانك لا راد لمشيئتك ، ولا مبدل لكلماتك ، سبحانك باهر الآيات، فاطر السماوات، بارئ النسمات.

لك الحمد حمداً يدوم بدوامك ، ولك الحمد حمداً خالداً بنعمك ، ولك الحمد حمداً يوازي صنعك ، ولك الحمد حمداً يزيد على رضاك ، ولك الحمد حمداً مع حمد كل حامد وشكراً يقصر عنه شكر كل شاكر. حمداً لا ينبغي إلا لك ، ولا يتقرب به إلا اليك ، حمداً يستدام به الأول، و يستدعى به دوام الآخر. حمداً يتضاعف على كرور الأزمنة، و يتزايد أضعافاً مترادفة،

حـمـداً يـعـجـز عـن إحـصائه الحفظة، و يزيد على ما أحصته في كـتـابـك الـكتبة، حمداً يوازن عرشك المجيد، و يعادل كرسيك الـرفـيـع، حـمـداً يكمل لديك ثوابه، و يستغرق كل جزاء جزاؤه، حـمـداً ظـاهـره وفق لباطنه، و باطنه وفق لصدق النية. حمداً لم يـحـمـدك خلق مثله، ولا يعرف أحد سواك فضله.حمداً يعان من اجـتـهـد فـي تـعـديـده، و يؤ يده من أغرق نزعاً في توفيته، حمداً يـجـمـع مـا خـلـقـت من الحمد، و ينتظم ما أنت خالقه من بعد، حـمـداً لا حمد أقرب الى قولك منه، ولا أحمد ممن يحمدك به. حـمداً يوجب بكرمك المزيد بوفوره، وتصله بمزيد بعد مزيد طولاً مـنـك ، حـمـداً يـجـب لكرم وجهك ، و يقابل عز جلالك .

ربِّ صل على محمد وآل محمد المنتجب المصطفى المكرم المقرب أفضل صلواتك ، و بارك عليه اتم بركاتك ، وترحم عليه أمـتع رحماتك . واجعل لي في هذا اليوم نصيباً أنال به حظاً من رضـوانـك . ولا تـردنـي صـفـراً مـما ينقلب به المتعبدون لك من عـبـادك ، واني وان لم أقدم ما قدموه من الصالحات فقد قدمت تـوحـيـدك ونـفـي الأضـداد والأنداد والاشباه عنك ، واتيتك من الأبـواب الـتـي أمـرت أن تؤتى منها، وتقر بت اليك بما لا يقرب أحـد مـنـك إلا بالتقرب به. ثم اتبعت ذلك بالانابة اليك والتذلل

والاستكانة لك ، وحسن الظن بك ، والثقة بما عندك ، وشفعته برجائك الذي قل ما يخيب عليه راجيك . وسألتك مسألة الحقير الذليل البائس الفقير الخائف المستجير، ومع ذلك خيفة وتضرعاً وتعوذاً وتلوذاً، لا مستطيلاً بتكبر المتكبرين، ولا متعالياً بدالة المطيعين، ولا مستطيلاً بشفاعة الشافعين، وانا بعد أقل الأقلين، وأذل الأذلين، ومثل الذرة أو دونها.فيا من لم يعاجل المسيئين، ولا ينده المترفين، و يا من يمن باقالة العاثرين، و يتفضل بانظار الخاطئين. انا المسيء المعترف الخاطيء العاثر، أنا الذي أقدم عليك مجترئاً ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفى من عبادك و بارزك . أنا الذي هاب عبادك وأمنك ، أنا الذي لم يرهب سطوتك ولم يخف بأسك ، أنا الجاني على نفسه أنا المرتهن ببليته ،

أنا القليل الحياء، أنا الطويل العناء. بحق من انتجبت من خلقك ، و بمن اصطفيته لنفسك ، بحق من اخترت من بريتك ومن اجتبيت لشأنك ، بحق من وصلت طاعته بطاعتك ، ومن جعلت معصيته كمعصيتك ، بحق من قرنت موالاته بموالاتك ومن نطت معاداته بمعاداتك . تغمدني في يومي هذا بما تتغمد به من جأر اليك متنصلاً ، وعاذ باستغفارك تائباً، وتولني بما

تتولى به أهل طاعتك والزلفى لديك والمكانة منك ،......

وأوجدني برد عفوك ، وحلاوة رحمتك وروحك وريحانك ، وجنة نعيمك ، وأذقني طعم الفراغ لما تحب بسعة من سعتك ، والاجتهاد فيما يزلف لديك وعندك. واتحفني بتحفة من تحفاتك، واجعل تجارتي رابحة وكرتي غير خاسرة، وأخفني مقامك ، وشوقني لقاءك ، وتب علي توبة نصوحاً لا تبق معها ذنوباً صغيرة ولا كبيرة، ولا تذر معها علانية ولا سريرة. وأنزع الغل من صدري للمؤمنين، واعطف بقلبي على الخاشعين، وكن لي كما تكون للصالحين، وحلني حلية المتقين ،.....

ولا تجعلني للظالمين ظهيراً ، ولا لهم على محو كتابك يداً ونصيراً. وحطني من حيث لا أعلم حياطة تقيني بها ، وافتح لي أبواب توبتك ورحمتك ورأفتك ورزقك الواسع اني اليك من الراغبين. وأتمم لي أنعامك ، انك خير المنعمين ، واجعل باقي عمري في الحج والعمرة ابتغاء وجهك يا رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، والسلام عليه وعليهم أبد الآبدين .

« والحمد لله رب العالمين »

« الفهرس »

الموضوع	الصفحة

مؤسسة البلاغ

AL-BALAGH FOUNDATION

يهدَى ولا يباع